إشكالية المصطلح النقدي المعاصر

دكتورة/ شريفة بنت إبراهيم بن محمد بن طالب
الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية التربية
جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز بالخرج
المملكة العربية السعودية

الملخص :

تعد المصطلحات مفاتيح العلوم ، وهي مفاتيح النقد التي يستحيل من دونها ممارسته وتتبعه ، وإذا لم يكن جهازا مصطلحيا دقيقا موحدا يمتلك قوة تجميعية تكثيفية تأطيرية فإن النصوص ستظل مقفلة ، والمناهج عائمة ،وهذا ماتنبه له كثير من الباحثين ووجهوا الأنظار إليه.

اتخذت إشكالية المصطلح النقدي مسميات عديدة منها : فوضى المصطلح ، وتمثلت في مظاهر متنوعة منها :استيراد المصطلح ،وضبابيته، واضطراب مفهومه ،وتعدد مصادره، وقطيعته أحيانا مع التراث . وارتبطت بها إشكاليات متعددة منها: ضعف المنهج الأصيل المناسب لفكرنا وثقافتنا .

وفي هذا البحث سأشير إلى أهمية تحديد المصطلح النقدي وتوحيده ،ومدى الحاجة إليه ،وبعض الحلول المطروحة لتجاوز فوضى المصطلحات النقدية من خلال الإشارة إلى جهود العلماء والباحثين .

هدف الدراسة : الكشف عن الإشكالية التي يعاني منها مصطلح النقد العربي ، وهي قضية نقدية علمية تناولتها الدراسات القديمة والحديثة، ومناقشة الآثار الناتجة عنها ،وطرح الحلول المقترحة بما يتناسب مع معطيات هذا العصر وإمكاناته .

منهج الدراسة : المنهج الوصفي والتحليلي .

تتكون الدراسة من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة : أولا : مفهوم المصطلح وأهميته ، ثانيا :جهود العلماء في توحيد المصطلحات النقدية، ثالثا: طرق صياغة المصطلح وبعض الحلول المناسبة لمعطيات هذا العصر وإمكاناته.

مقدمة :

الاهتمام بالمصطلح النقدي ودراسته ليست وليدة العصر الحاضر حيث الثورة العلمية وظهور المناهج النقدية فحسب؛ بل هو متجذر في الثقافة العربية، أولاه القدماء من النقاد والنحويين والبلاغيين قدرًا من الدرس والتحليل، وعدوه علمًا من علومهم إذ رأوا فيه السبيل إلى المعرفة والعلم .

يرى معظم الدارسين اليوم أن الأدب والنقد العربي المعاصر يعاني أزمة في المصطلح؛ وهي أزمة ترتبط بها إشكالات متعددة تعوق مسيرة الدرس الأدبي والنقدي . وعلى كثرة المصطلحات النقدية وثرائها وقوتها إلا أن الأزمة ناشئة من عدة أوجه منها :استيراد المصطلح ، وضبابيته واضطراب مفهومه ، وتعدد مصادره ، وقطيعته مع التراث ؛نتيجة لغياب الجهود الموحدة والمتضافرة . وعلى تعدد الدعوات والمؤسسات المعنية بالموضوع إلا أن الإشكالية مازالت قائمة، والدرس الأدبي المعاصر لم يستطع حتى الآن –حسب بحثي– تقديم منهج أصيل مناسب لفكرنا وواقعنا ، و لم يفرز جهازا مصطلحيا ،ونظاما مفهوميا نابعا من ذاته، معبرا عن كيانه .

ولأن المصطلحات بمثابة مفاتيح للنص ؛ فإن النصوص ستظل مقفلة ، ما لم نسع إلى تجاوز المشكل، وتصحيح الوضع . (انظر : قضية التعريف في الدراسات المصطلحية الحديثة، علي لغزيوي ،منشورات كلية الآداب وجدة١٩٩٨ م ص ٧٠)

مفهوم المصطلح وأهميته:

قبل الحديث عن المصطلح النقدي، لابد من تحديد معنى المصطلح لغويا ودلاليا : إذ أصل المصطلح في اللغة من صلح صلاحا، أي زال عنه الفساد ، واصطلح القوم؛ زال مابينهم من خلاف ، واصطلحوا على الأمر، تعارفوا عليه واتفقوا ، والاصطلاح: اتفاق طائفة على شيء مخصوص ، واتفاق في العلوم والفنون على لفظ أو رمز معين لأداء مدلول خاص ، ويقال : لكل علم اصطلاحاته .(المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية ، دار الفكر ط٢-مادة صلح)

ويعني المصطلح النقدي في دلالة "الاصطلاح" : "الكلمة المفردة أو العبارة التي يتواضع عليها مجموعة من الباحثين أو أهل الاختصاص لتدل على معنى محدد قائم بذاته؛ مثل : الرواية ،القصة القصيرة ، البنيوية ، التناص . والمصطلح هو "وحدة لغوية " أو عبارة لها دلالة لغوية أصيلة ثم أصبحت هذه الوحدة أو العبارة تحمل دلالة اصطلاحية خاصة ومحددة في مجال أو ميدان معين لعلاقة ما تربط بين الدلالة اللغوية الأصلية والدلالة الاصطلاحية الجديدة " . (أزمة المصطلح في النقد القصصي مجلة (فصول) المجلد السابع العددان الثالث والرابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ص ٩٨-١٠٦)

وقد بذلت جهود كبيرة من قبل العلماء والنقاد العرب الأوائل في العناية بالمصطلح، وتحديدًا بعد اتساع الحضارة العربية حيث اتسعت العلوم وتنوعت الفنون وتقدمت الحياة ، ومن أبرزها :كتاب "مفتاح العلوم" للسكاكي، وكتاب "التعريفات" للجرجاني، وكتاب "الكليات" للكفوي، وكتاب "كشاف اصطلاحات الفنون " للثعالبي ... وغيرها من الجهود المبذولة من قبل العرب قديما.

والقرآن الكريم هو أول مصدر للمصطلحات العربية، وكان لكثير من مصطلحات الإسلام معنى لغوي سابق فنقلت من معناها الأول إلى المعنى الجديد، كذلك كانت الحقيقة الشرعية من أسباب نمو اللغة وفتح باب تطور الدلالة وانتقال الألفاظ من معنى إلى آخر بما يقتضيه الشرع وتتطلبه الحياة الجديدة، وكذلك اتسعت حركة وضع المصطلحات والألفاظ الجديدة باتساع الحياة وتقدم الحركة الفكرية من أجل القدرة على استيعاب العلوم والفنون القائمة ، ثم التحكم فيها جراء التحكم في المصطلحات المعبرة عنها .

وإذا نظرنا في المتون العربية القديمة لاحظنا في يسر، أن العرب القدامى كانوا على درجة عالية من الوعي بضرورة ضبط المصطلحات والإلمام بها كونها السبيل الأول إلى المعرفة ومتى تم القبض على المصطلحات قبضا صحيحًا يجمع في صحة وضعه بين الدال

والمدلول صارت العملية النقدية أقرب إلى العلم، وأكثر موضوعية من حيث الدرس والتحليل، ويؤكد (السكاكي) هذه الفكرة بقوله: "اعلم أن علم الأدب متى كان الحامل على الخوض فيه مجرد الوقوف على طرف الأوضاع، وشيء من الاصطلاحات، فهو لديك على طرف التمام ، فالدارس الذي يخوض غمار الأدب وهو مجرد من خاصية الفضول العلمي الحامل على البحث والتنقيب في الأشكال قبل المضامين، وفي الحواشي قبل المتون لن يحقق غايته بالسرعة والدقة اللتين توفرهما له عملية فكه للشيفرة المصطلحية أولا وقبل كل شيء. أما قولنا : علم الأدب، فالمقصود به هو الفن بشكل عام وحد الأدب هو حفظ أشعار".(مفاتيح العلوم ، يوسف بن أبي بكر السكاكي ،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط٢، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م).

وهناك شبه إجماع بين الدارسين على أن علم المصطلح قديم في غايته وموضوعه، حديث في منهجه ووسائله، فهو لم يستكمل نموه بعد، ولم يبلغ مرحلة النضج وتختلف نظرة العاملين فيه إلى طبيعة ماهيته وكنهها بتعدد المدارس الفكرية التي ينطلقون منها من أجل الوصول إلى نظرية مفهومية واضحة الأسس جلية المعالم في شأن هذا العلم الواسع .

وقد ظهرت الحاجة إلى المصطلح لما تطورت وظيفة النقد وتعددت مناهجه واتجاهاته، مما استدعى الاهتمام بالمصطلحات النقدية وتوليدها ؛ لأن المصطلحات مفاتيح النقد وأدواته التي يستحيل من دونها ممارسة النقد الأدبي المعاصر وتتبعه . (المصطلح والمفهوم في النقد الأدبي، فؤاد مرعي وسهام ناصر مجلة بحوث جامعة حلب العدد ٣٥–حلب ١٩٩٩م).

يولد المصطلح عادة بحسب الحاجة العلمية إليه ، وغالبا ما يأتي بعد وجود الظاهرة الجديدة علمية كانت أم أدبية أم نقدية ، ويحتاج إلى فترة من التجريب والانتشار حتى يرسخ في الاستعمالين الأدبي والنقدي معا ، ويأتي البحث الدلالي ليقيم صلة مابين اللغة والأدب والنقد ، فيتتبع أحوال المصطلحات ، ويشير إلى التغيرات التي طرأت عليها وعلى تنوع مدلولاتها . (صور من تطور لغة الشعر العربي الحديث عن طريق المجاز ، عالم الفكر المجلد العشرون ، العدد الثالث ، الكويت ،ص١٨٩) .

وتأتي أهمية المصطلح من كونه هو الذي يؤطر التصورات الفكرية ويسميها في إطار محدد ، بحيث يقوم بتشخيص المفاهيم وضبطها التي تنتجها ممارسة ما في لحظات محددة، والمصطلح هو الذي يستطيع ضبط العناصر الموحدة للمفهوم ، والتمكن من انتظامها في قالب لفظي يمتلك قوة تجميعية وتكثيفية لما قد يظهر مشتتا في التصور . وإذا كان للمصطلح مثل هذه القوة التكثيفية والتأطيرية فإن الاشتغال بهذه الأداة سيبرز مدى قوة إدراك المشتغل بها

لخطورة الاستعمال الاعتباطي لها، ولأن التحكم في المصطلح هو في النهاية تحكم في المعرفة المراد إيصالها ، و القدرة على ضبط أنساق هذه المعرفة والتمكن من إبراز الانسجام القائم بين المنهج والمصطلح ، وإبراز العلاقة الموجودة بينهما . ومن المؤكد أن كل إخلال بهذه القدرات سيخل بالقصد المنهجي والمعرفي الذي يرمي إليه مستعمل المصطلح .(انظر : مدخل إلى علم المصطلح، المصطلح ونقد النقد العربي الحديث، أحمد بو حسن ،الفكر العربي المعاصر بيروت ، ص ٨٤) .

ويعد ضبط المصطلح العلمي في أية حضارة مرحلة متقدمة من النضج والوعي ، فالمصطلح تعميم أو تجريد ذهني لظاهرة أو إشكالية علمية أو ثقافية ، ولذا فهو يقترن بنضج التعريفات والتصنيفات العلمية في أية ثقافية إنسانية ،وهو بذلك يعد قاسما مشتركا بين الثقافات الإنسانية المختلفة .

ومن المؤكد أن المصطلحات هي مفاتيح العلوم ، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفية وعنوان مابه يتميز كل واحد منها عن غيره، وليس من سبيل يصل به المتعلم إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية، حتى لكأنها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال .(قاموس اللسانيات ، عبد السلام المسدي الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٤م، ص ١١).

ويمثل المصطلح الباب الأول لدخول أي علم، ولا يستقيم منهج إلا إذا قام على مصطلحات دقيقة تؤدي الحقائق العلمية أداء دقيقا، فضلا عن هذا فإن للمصطلح لغة خاصة وهذه اللغة وثيقة الصلة بمسيرة العلم وتطبيقاته. ولعلم المصطلح غايات رئيسة ثلاث هي:

١- صياغة المبادئ التي تحكم وضع المصطلحات الجديدة .

٢- توحيد المصطلحات القائمة فعلا وتقييسها .

٣- توثيق المصطلحات ونشرها في شكل معاجم متخصصة.

ويتحقق الهدف الأول عن طريق تثبيت موقع كل مفهوم في نظام المفاهيم طبقا للعلاقات المنطقية والوجودية القائمة بينها، واختيار مصطلح واحد طبقا لقواعد التوليد اللسانية للتعبير عن المفهوم موضوع البحث ويتم بلوغ الهدف الثاني عن طريق دراسة المصطلحات والبحث في كتب علم المصطلح.

أما في الآداب الأجنبية فقد أدت العناية بالمصطلحات والاهتمام بها -بصورة العلم الذي له أسسه وقواعده ونظمه التي يحتكم إليها - إلى ظهور علم جديد اسمه علم المصطلح الذي نشأ على يد كل من السوفياتي Lotte والألماني Wuster وهو حسب تعريف المنظمة العالمية

للتقييس، دراسة ميدانية لتسمية المفاهيم التي تنتمي إلى ميادين مختصة من النشاط البشري بالنظر إلى وظيفتها الاجتماعية ويعني هذا أن المصطلح متشعب الأطراف فمع كونه ينتمي إلى علم اللغة إلا أنه مشترك مع عدة علوم منها : علم المنطق والمعلوماتية، وعلم الوجود وعلم المعرفة وحقول التخصص العلمي المختلفة وينعته الباحثون السوفيات بأنه علم العلوم .

ثانيا: جهود العلماء في توحيد المصطلحات :

إن تحديد المشكلة هو أول طريق إلى حلها ،وإشكالية المصطلح تكمن فيما اتفق معظم الدارسين على تسميته (فوضى المصطلح في النقد العربي الحديث والمعاصر) ، فكلما جاء الحديث عن قضية المصطلح في النقد العربي الحديث تحدثوا صراحة أو ضمنا عن هذه الفوضى التي هي في نظرهم –نتيجة حتمية لغياب التعريف الدقيق والموحد للمصطلحات ، والنقاد بين مضخم لهذه المشكلة وبين معتدل في تناولها وإن كان جل الدارسين متفقين على أن هناك خللا أو إشكالية ما في ضبط المصطلح .

ويمكن الحديث عن جهود الباحثين المعاصرين – ولا يمكن حصرها – ولكن يمكن تصنيفها في ثلاث فئات:

ما ألف في مصطلحات ناقد معين أو مجموعة من الشعراء مثل :ميشال عاصي : مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ. والشاهد البوشيخي: مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين.قضايا ونماذج

ما ألف في مصطلحات كتاب نقدي بعينه: إدريس الناقوري " المصطلح النقدي في نقد الشعر " لقدامة بن جعفر . رجاء عيد بواكير المصطلحات النقدية قراءة في طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي.

ما ألف انطلاقا من مدونة نقدية معينة: خير الله السعداني، مصطلحات نقدية أصولها وتطورها إلى نهاية القرن ٧هـ.

أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم.بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية.

إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد " ليوسف وغليسي وكذلك كتاب "إشكالية المصطلح للسعيد بوطاجين، وكتاب "المصطلح النقدي"عبد السلام المسدّي، وكتاب نظرية المصطلح النقدي ل عزت محمد جاد ، وغيرها من الكتب التي تناولت قضية المصطلح النقدي بأي شكل من الأشكال ، وهي كثيرة يصعب حصرها . ومع هذا فما زالت المشكلة قائمة ،

لبقاء كثير من أسبابها التي أشرنا إليها . وفي رأيي أن تشتت الجهود وضعف الترجمات والتبعية للغرب هي الأسباب الجوهرية لبقاء المشكلة .

وسأنقل من هذه المؤلفات خلاصتها ،وأبدأ باالناقد (أحمد مطلوب) ، إذ يقول :

تثار بين حين وآخر مشكلة المصطلح النقدي أسوة بما يثار من مشكلات أدبية أو فكرية ، ومن يتابع حركة التأليف في هذا القرن لا يجد مشكلة بالمعنى الدقيق، فهناك تراث عربي ضخم يتمثل في أكثر من ألف وخمسمئة مصطلح أدبي وبلاغي ونقدي ، ولو رجع من يرفع شعار "إشكالية المصطلح إلى ذلك التراث لوجد الطريق ممهدا ".(في المصطلح النقدي أحمد مطلوب ،ص ٢٣)

ويقول علي لغزيوي : " لعل قضية المصطلح تأتي في مقدمة المشكلات التي يعرفها النقد العربي في ممارساته ، سواء أتعلق الأمر بالاستعمال ، أم بالتعريف وتحديد المفهوم ، والمتتبع لمسيرة النقد وإنجازاته يجد أن المصطلح يستعمل بشكل فضفاض حينا ، وقد يرجع ذلك إلى أن الاصطلاح النقدي الذي يدوم استعماله يمكن أن يتغير معناه مع مجموعة من التفضيلات الأدبية في عصر بعينه ، ويرجع حينا آخر إلى تعدد اختلاف روافد النقد وتباين العلوم والحقول المعرفية التي يستعين بها النقد في أداء وظيفته ." (انظر : مدخل إلى مشكلة التعريف المصطلحي في النقد العربي الحديث)، علي لغزيوي ، منشورات كلية الآداب ، وجدة، ١٩٩٨ ، ص ٦٩)

ويضيف : " إن قضية تعريف المصطلح وتحديد مفهوم مضبوط ودقيق في اللغة الاصطلاحية، كانت ولاتزال قضية شائكة ومعقدة ، قد يصعب الحسم فيها ما لم تتضافر جهود جميع المعنيين أفرادا ومؤسسات في اقتراح الضوابط ، وتطوير الجهود ، وبلورة الوعي المصطلحي لربح الوقت والجهد من أجل تحقيق الأهداف المتوخاة ... والنظرية النقدية العربية لا يمكن لها أن تثبت على قدميها بدون إرساء للمصطلح النقدي "(مدخل إلى مشكلة التعريف المصطلحي في النقد العربي الحديث)، علي لغزيوي ص٧٠).

ويقول دارس آخر : " ولعل مسألة استيراد المصطلحات ، وتطبيقها على نصوص وأعمال إبداعية عربية ... يضاف إلى ذلك غياب الدراسات المنهجية في نقد النقد يرسخ غربة المفهوم، وما يعانيه المصطلح النقدي العربي من الفوضى والاضطراب ، وغلبة الانطباعية ، وتنوع المدلولات مما يؤثر سلبا على التلقي في المسألة الأدبية " (المصطلح والمفهوم في النقد الأدبي) ، فؤاد المرعي ، وسهام ناصر ،ص٣٥) .

ويقول (خلدون الشمعة):"ولعل من أشد الظواهر في النقد العربي الحديث إثارة للانتباه ، بل القلق ، أنه سيطرت عليه ، منذ بداية عصر النهضة ، نبرة جارفة ومجلجلة ، أزالت فروق الاستخدام بين حدود المصطلح واللفظ والشعار. (مدخل إلى مشكلة التعريف المصطلحي في النقد العربي الحديث)، علي لغزيوي ص٧٣).

ويؤكد أن فوضى المصطلح قد شاعت الى حد استعمال المصطلحات بحسب معانيها اللغوية أو الشعارية ، وليس بحسب معانيها الفلسفية أو النقدية، وهذا الإشكال في نظره أساس لكل مانراه من خلل أو انحراف أو ضبط منهجي .(مدخل إلى مشكلة التعريف المصطلحي في النقد العربي الحديث ، علي لغزيوي ص ٧٤) .

ويرى (سامي اليوسف) أن الناقد العربي المعاصر واحد من اثنين : إما أن يكون بغير مصطلح تقريباً ، وإما أن يتزود بجهاز ضخم من المصطلحات المستوردة من الثقافات الأجنبية ، وقل أن تجد نمطاً ثالثاً ممن يجنحون إلى الخلق وامتلاك المصطلح الخاص ، وبديهي أن يغيب التعريف المصطلحي لدى الفئتين معا ، وأن تسود العشوائية ما تنتجه كل فئة منهما ، وفي هذه الحالة تغدو المصطلحات النقدية السائدة والمتداولة أبعد ما يمكن عما يجب أن تكون عليه ، لأنها مجرد ألفاظ دارجة متداولة تبناها النقاد واستخدموها في دراساتهم النقدية ، ومعظمها مجرد إرث واقتراض انتقل الى نقاد العصر الحديث ، فأثرت فيها السنون والتطورات الاجتماعية حتى تغيرت معانيها وتعقدت ، وأصبح من المستحيل تعريف بعض هذه المصطلحات مثل (الجمال) و (الشعر) و (التعبير) و (الشعر الغنائي و (القصيدة الغنائية) ... ولذلك يقترح على النقاد أن يلحقوا بكتاباتهم النقدية معاجم للمصطلحات النقدية التي يستخدموها حتى يمكن القارئ فهم مايكتبون .(مدخل إلى مشكلة التعريف المصطلحي في النقد العربي الحديث)، علي لغزيوي ص ٧٤) .

ويرى (طراد الكبيسي) أنه :" في البدء لابد أن يحدد النقد العربي المعاصر موقفه من المنهج والمصطلح النقدي الأجنبي، ، ومن المصطلح والمنهج النقدي العربي القديم .. ذلك أننا في حاضرنا الراهن لا نستطيع ان ننعزل عن العالم وتجربة الكتابة الحديثة ، كما لا نستطيع أن نهمل تراثنا النقدي ونبقي على خط التتابع منبتا؛ لأن هذا التراث كغيره من فنون العلم والمعرفة يشكل بالنسبة لنا خبرة نفسية وفلسفية اجتماعية وجمالية. ثانياً : يرى انه لابد من استنباط مصطلح جديد يعبر عن هذه الحياة والتجربة المعاصرة سواء جاء هذا الاستنباط عن طريق التلاقح بين المصطلحين العربي والغربي ، أو بإفراغ المصطلح الغربي والعربي القديم من محتواه وملئه بمحتوى جديد ، كما حصل بالنسبة لمصطلح الشعر الحر الغربي ،

ومصطلح التدوير العربي، أو بإحداث المصطلح على ضوء التجربة المعاصرة .(مدخل إلى مشكلة التعريف المصطلحي في النقد العربي الحديث)، علي لغزيوي ص٧٧).

مثلا مصطلح البنيوية : الملاحظ منذ البداية أن قضية تعريف هذا المصطلح كانت وما تزال قضية معقدة ، يصعب فيها الوصول الى نتيجة نهائية وشاملة تتفق حولها جميع الآراء ، ذلك أن مجرد ترجمة المصطلح الى اللغة العربية مثلا لم يقع الاتفاق بشأنه . ولو تتبعنا المصطلحات المستعملة على سبيل الترادف لهالنا الاختلاف الكبير بين الدارسين في المشرق والمغرب ، فنهاك : البنيوية ، والبنائية) بكسر الباء (والبنائية (بضم الباء) والهيكلية . (مدخل إلى مشكلة التعريف المصطلحي في النقد العربي الحديث)، علي لغزيوي ٨١).

ومصطلح (الصورة) مثلا عند العرب غيرها عند الغربيين ، وهي عند الرومنسيين تمثل المشاعر والأفكار الذاتية ، وعند البرناسيين تعرض الموضوعية ، وعند الرمزيين تنقل المحسوس إلى عالم الوعي الباطني ، وعند السرياليين تعنى بالدلالة النفسية ، وهي عند غيرهم "رسم قوامه الكلمات "وهي "إعادة إنتاج عقلية ذكرى لتجربة عاطفية أو إدراكية غابرة ليست بالضرورة بصرية ". (في المصطلح النقدي أحمد مطلوب ص ٢٤) .ومن تلك المصطلحات المشكلة : (الشعرية) ، و (الأسلوبية) و(الحداثة) ...

ويرجع الناقد (أحمد مطلوب) أسباب المشكلة إلى انقطاع بعض المهتمين بقضايا الأدب ونقده عن التراث العربي ، وبعضهم يجهل الظروف التي نشأ فيها المصطلح الغربي والأسباب التي دفعت إلى وضعه ، ولم يطلع على الأدب الأجنبي اطلاعا يؤهله لفهم المصطلح فهما دقيقا ، واكتفى بما يكتب عن الأدب من مقالات أوقعته في الخلط والاضطراب ، ولو أدرك المنقطعون مسالك الغربيين وعودتهم إلى التراث اليوناني والروماني لعادوا إلى تراثهم بكل شغف، . ثم يحدد المشكلة بشكل أدق وينسبها إلى الفوضى في التأليف والترجمة فيقول : "إن مشكلة المصطلح النقدي حدثت من الفوضى التي يعيشها التأليف والترجمة ، ومما زادها خللا واضطرابا : اختلاف ثقافة المؤلفين أو الباحثين ، وهم ثلاثة أنواع :الأول : ذو ثقافة أجنبية يقرأ الأدب ونقده باللغة الأجنبية الثاني : ذو ثقافة مضطربة يقرأ الأدب الأجنبي ونقده بالعربية. الثالث : ذو ثقافة عربية يأخذ من كل فن بطرف . (انظر : في المصطلح النقدي ، أحمد مطلوب ،ص ٢٣ وما بعدها).

ويؤكد الكثير من الباحثين أن حالة الانبهار بالثقافة الغربية عموما، وبمناهج النقد الأدبي على وجه التخصيص تمثل أحد أهم الأسباب التي أدت إلى كثرة المصطلحات، وتشابك المفاهيم، مما يبقي مشروع تأسيس جهاز اصطلاحي يضم في صياغته الثقافة العربية مؤجلا

إلى حين، ريثما يتخلص المثقف العربي من عقدة الآخر، الذي يرى فيه مركزا يشع بمختلف صنوف المعرفة، وأنه ذات عارفة غير قابلة لأن تكون موضوعا للعلم والدرس، ومن ثَمَّ فالانفصال عنه إجرائيا ضروري ليستطيع نقده بصفة موضوعية ويصبح عندها المثقف العربي ذاتا عارفة والغرب موضوعا للمعرفة، تلك السبيل الوحيدة نحو تحقيق الغاية المنشودة، تلك الغاية التي يلزمنا لتحقيقها التمكن أولا من جميع الآليات والوسائل المعتمدة في صياغة المصطلحات من بينها، الوسيط المعرفي الأكثر تفعيلا في الآونة الأخيرة والمسمى بـ "الترجمة" من خلال تتبع المصطلحات عبر أصولها وتطورها عبر الزمن وتحليل مفاهيمها وشرحها بالمقارنة مع ما يشابهها من ألفاظ ومعان بدل النقل عن الحداثة الغربية الذي يفتح الطريق أمام التبعية الثقافية ثم يكرسها، الأمر الذي يجعلنا نرتكب إثما لا يغتفر حينما ننقل المصطلح النقدي الغربي، وهو مصطلح فلسفي بالدرجة الأولى بكل عوالقه المعرفية إلى ثقافة مختلفة هي الثقافة العربية دون إدراك للاختلاف ، لذلك يكون البديل الوحيد للقضاء على هذه التبعية هو العودة إلى التراث البلاغي والنقدي العربي القديم الذي كان بالنسبة لكثير من الحداثيين العرب أمرا من شؤون الماضي، الماضي الذي يجب أن نحقق معه قطيعة معرفية (...) بهذا وضعنا تراثنا البلاغي أمام مرايا مقعرة صغرت من حجمه وقللت من شأن إنجازات العقل العربي .

ومن أكبر أسباب ودواعي فوضى وغموض المصطلح النقدي : عدم استيعاب النقاد العرب للمناهج النقدية الغربية الجديدة استيعابا شاملاً وصحيحًا، الخلل الذي وقعت فيه ترجمة المصطلح، والذي نَجَم من عدم التمكن من اللغة، وعدم الانصياع للطرائق والوسائل الصحيحة الناجعة في نقل المصطلحات وصياغتها. ويلحق به عدم وجود إجماع حول سبل ترجمة هذه المصطلحات ونقلها ، فإما أن تنسب عملية الترجمة لباحثين تنقصهم الدراية باللغتين المنقول منها والمنقول إليها، وإما أن تتكفل المجامع بذلك، هذه المجامع التي ينقصها الانضباط والامتثال للمقترحات الفعالة في صوغ المصطلح.

وقد يكون السبب عائداً إلى الوازع الذاتي الذي يتحكم في نقادنا العرب، وإلى الرغبة في البروز والظهور ، لذلك نجد بعض الباحثين يتخذ لنفسه مصطلحات جديدة وينتصر لها، على سعة اللغة العربية وقدرتها على توفير أكبر عدد ممكن من الألفاظ والمعاني، وامتلاكها لوسائل مختلفة ومتعددة كالنحت والتعريب، والاشتقاق، والمجاز .... إلخ التي تعين على استحضار البدائل والمقابلات التي يحرص فيها الناقد على انتقاء الأدق والأنسب للغة والثقافة العربية، وكذلك صياغة المصطلح الأكثر دلالة على المقابل الأجنبي إلا أن الفوضى لا تكاد تنفك عن

التضاخم والزيادة، فنجد بعضهم يُسهم في الزيادة من حدة الوضع بدل القضاء عليها، سواء أدرك ذلك أو لم يُدركه، فعندما يُعالج المصطلحات ويُؤثر مصطلح "الدينامية" مثلاً على حساب "التكوينية" في إطار الحديث عن البنيوية بصفتها منهجا ، فهو بهذا يُسهم في صنع التراكم، لأن من سبل التخلص من الفوضى المصطلحية، الإبقاء على ما هو متداول وشائع بين النقاد، دون الابتداع الباعث على الخلط بدل الخلق، والاستعمال هو الذي يحيي المصطلحات ويميتها ، بغض النظر عن صحتها أو لا.

نخلص أيضا إلى نتيجة مفادها: الإيمان بتعددية المناهج النقدية وحقها في الحوار وتداخلها فيما بينها إلى درجة يصعب فيها الفصل بينها وتقسيمها إلى حقول ومعارف، وهي تنشد رؤية واحدة وجديدة يعنى فيها الناقد بالنّص الأدبي وبدراسة بناه واستكشاف خباياه وأثر تلقيه .

إن المناهج النقدية الغربية التي انبهر بها كثير من نقادنا العرب ليست بالغريبة عن النقد العربي، والباحث في التراث النقدي والبلاغي القديم يجد لها جذورًا وأصولاً تماثل ما هي عليه آلياتها وإجراءاتها اليوم، فعلوم البلاغة ونظريات النقد العربية القديمة كنظرية النظم، ونظرية عمود الشعر العربي، وقواعد النحو ، وأسس البلاغة بوجه عام عبارة عن ثروة فكرية ومحمول ثقافي ضخم على النقاد المحدثين الاستعانة به وتطوير حيثياته تبعا لما وصلت إليه المناهج النقدية الجديدة عند الغرب والأخذ بالاثنين، من أجل تأسيس نظرية نقدية عربية جديدة تكون شاملة وصالحة للتطبيق على جميع أنواع الأدب العربي وأجناسه.

لقد خطت جهود المصطلحيين خطوات ملموسة في خدمة المصطلح بصفة عامة على المستوى النظري والمستوى التطبيقي معا ، ومن ذلك التوحيد المعياري للمصطلح ، وذلك بتخصيص مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد ، والتخلص من الترادف والاشتراك اللفظي وكل ما يؤدي الى الغموض والالتباس ، كما ساعدت أبحاث النظرية العامة للمصطلحية على التوصل إلى مبادئ أساسية تحكم وضع المصطلحات ، ومن هذه المبادئ :

- مبدأ الانطلاق من المفاهيم والعلاقات القائمة بينها بدلا من الانطلاق من المصطلحات للوصول إلى المفاهيم، وهذا هو المنهج الطبيعي ، لأن المسميات سابقة على الأسماء، ووضعها .
- وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد ذي المضمون الواحد في الحقل الواحد .
- تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد .

- مسايرة المنهج الدولي في اختيار المصطلحات العلمية: مثل مراعاة التقريب بين المصطلحات العربية والعالمية لتسهيل المقابلة بينهما ، وإشراك المختصين والمستهلكين في وضع المصطلحات .
- استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية طبقا للترتيب الآتي : التراث فالتوليد (بما فيه من مجاز واشتقاق وتعريب ونحت).كما يؤكد معظم الدارسين والمشتغلين بإشكالية المصطلح على ضرورة وجود معجم نقدي حديث يسهم فيه المجمعيون والمؤلفون والمترجمون والأدباء والنقاد.(انظر: إشكاليات ترجمة المصطلح اللساني والنقدي نص ١٦٩).

ويلخص الدكتور أحمد مطلوب شروط المصطلح في أربعة :

اتفاق العلماء عليه للدلالة على معنى من المعاني العلمية . اختلاف دلالته الجديدة عن دلالته اللغوية الأولى . وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلوله الجديد ومدلوله اللغوي. الاكتفاء بلفظة واحدة للدلالة على معنى علمي واحد . ولابد من أن يبذل اتحاد المجامع العربية جهدا كبيرا لتوحيد المصطلحات أو تقريبها ليصدر الباحثون والمترجمون عن منهج واحد في وضع المصطلحات . (في المصطلح النقدي أحمد مطلوب ،ص٣٠)

وختاما:

يمكن تلخيص موضوع إشكالية المصطلح النقدي المعاصر في النقاط الآتية :

ليس البحث في المصطلح النقدي وليد العصر الحاضر؛ إنما له جذوره في التراث ،وقد أولاه القدماء عنايتهم كالجاحظ والجرجاني ،وغيرهما الكثير من النقاد . بالنظر إلى مجموع المؤلفات والكتب الخاصة التي تناولت مختلف المصطلحات بالدرس والتحليل ، وما زالت البحوث والدراسات توليه اهتمامها .

مصدر الإشكالية في موضوع المصطلح وما يعيشه من فوضى في الساحة النقدية العربية سواء تعلق الأمر بالنقد العربي الحديث أو بالنقد العربي القديم أيضا – راجع إلى طبيعة المصطلح ذاته، الذي تتحكم في صوغه آليات ومنهجيات عديدة تجعله ينفلت من قيود الصرامة العلمية والأسس الموضوعية، فعالم المصطلح عالم حركي في نماء مستمر تتقاسمه أربعة أطراف هي المجتمع والمخترع، واللغة والاصطلاح أيضا.

وأخيرا : يكمن الحل لإشكالية المصطلح في وجود معجم نقدي حديث ،تتضافر فيه جهود العلماء واللغويين والأدباء والنقاد والمؤلفين والمترجمين ،ويكون فيه عمل جاد صادر عن منهج موحد فيه الدقة ووضوح الرؤية، وقد تقف أمام المشروع عقبات ومشكلات ولكن الإصرار على العمل يذلل المصاعب ، وما نظن أن ما قام به عالم في القديم يعجز عنه العلماء والأدباء والنقاد في العصر الحديث .

مراجع الدراسة : أولا : الكتب:

١. في المصطلح النقدي، أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي ، ٥١٤٢٣-٢٠٠٢م .
٢. قاموس اللسانيات عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٤م .
٣. المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي ، محمد عزام ، دار الشرق العربي ، بيروت، لبنـــان ، (د ت)
٤. المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، دار الفكر ، ط٢.
٥. إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، يوسف وغليسي، منـــشورات الاخـــتلاف ، الجزائر ، ط٠١ ، ٢٠٠٨م
٦. المصطلح النقدي، عبد السلام المسدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر، تونس،١٩٩٤

ثانيا : الدوريات:

١. أزمة المصطلح في النقد القصصي مجلة (فصول) ، المجلـــد الـــسابع ، العـــددان الثالـــث ٢،١٩٩٤ م.
٢. أعطني اصطلاحا اعطك منهجا ، سعيد علوش ، مجلة الأقلام ، ايلول – ١٩٨٦م .
٣. صور من تطور لغة الشعر العربي الحديث عن طريق المجاز ، مجلة عالم الفكـــر المجلـــد العشرون ، العدد الثالث الكويت .
٤. قضية التعريف في الدراسات المصطلحية الحديثة علي لغزيوي ،مجلة منشورات كلية الآداب وجدة ،١٩٩٨م.
٥. مدخل إلى علم المصطلح المصطلح ونقد النقد العربي الحديث ،أحمد بو حسن ، مجلة الفكـــر العربي المعاصر ، بيروت .
٦. المصطلح والمفهوم في النقد الأدبي ، فؤاد مرعي ، وسهام ناصر ،مجلـــة بحـــوث جامعـــة حلب، العدد ٣٥ ،١٩٩٩م .
٧. أصول المصطلح النقدي ، الشاهد البوشيخي، مجلة التواصل اللساني ،العددان ١-٢